بغيــة الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد

تأليف

القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي

٤٧٦ - ٥٤٤هـ

ومعه تفسير نفس الحديث للحافظ السيوطي

تحقيق

صلاح الدين بن احمد الادلبي، محمد الحسن أجانف، محمد عبد السلام الشرقاوي

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

تقديم: شوكت علي درويش

« لولا عياض لما ذكرت المغرب» كلمة شاعت على السنة الجماهير، من غير أن تنسب لقائل معين، وحق للمغرب أن يفخر بعياض صاحب التآليف(١) التي نهل منها المشرق والمغرب الاسلاميان على السواء.

وهو كما أورد ابنه محمد «أبو الفضل عياض ابن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي» ولد بسبتة(٢) في منتصف شعبان من سنة ٤٧٦هـ، أخذ عن اشياخ بلده، ثم رحل الى الأندلس سنة ٥٠٧هـ، واخذ عن أعلام قرطبة، ثم خرج منها الى مرسية سنة ٥٠٨هـ، فوجد أبا علي الحافظ الحسين بن محمد الصدفي متخفياً، فأقام بها يقابل كتبه أثناء ذلك باصول الحافظ ابي علي الى ان خرج أبو علي من اختفائه، وجلس للتسميع، فسمع عليه كثيرا، ولازمه، وكان له به اختصاص، فحصل له مسموع كثير في مدة يسيرة، ولقي في رحلته هذه جماعة من اعلام الاندلس، وقد انتهى أشياخه ممن سمعه أو أجازه مئة شيخ، وعاد الى سبتة سنة ٥٠٨هـ، ثم ولي القضاء بها سنة ٥١٥هـ، ثم انتقل الى غرناطة، وولي القضاء بها سنة ٥٣١هـ، ثم ولي قضاء سبتة ثانية سنة ٥٣٩هـ، ودخل في نظام الموحدين، واقره أمير المؤمنين على ما كان عليه، وصرف امور بلده اليه، و بعدها خرج الى مراكش، وتوفي بها سنة ٥٤٤هـ(٣).

١ ــ أحصى له الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي اثنين وثلاثين مؤلفاً. ترتيب المدارك جـ/ ص كا- كز.

٢ ــ مدينة مغربية، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مقابل الشاطيء الاندلسي، ما زالت تحت الحكم الاسباني.

٣ ــ التعريف ص ٢-١٣، أزهار الرياض جـ١/٢٣-٢٩، جـ ٣/١٦-٢١، وعن شيوخه جـ٣/٥٩-٦٤، ٩٥-١٠١، ١٤٩-١٦٧.

بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد:

قال ابن حجر العسقلاني عن شرح القاضي عياض للحديث بعد ان عدد شراح هذا الحديث: «وهو أجمعها وأوسعها، واخذ منه غالب الشراح بعده(٤).

وقال محمد بن تاويت: «وهو أوفى شروح هذا الحديث، واغزرها مادة»(٥).

الحـــديث:

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، وعلي بن حجر، قالا: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا هشام بن عروة، عن عبد الله بن عروة، عن عروة عن عائشة قالت:

جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن، وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً(٦).

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل(٧).

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، اني أخاف أن لا أذره، إن اذكره أذكر عجره وبجره(٨).

قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق(٩).

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حرٌّ ولا قرٌّ، ولا مخافة ولا سآمة(١٠).

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد(١١).

---

٤ — فتح الباري ١١: ١٦٤.

٥ — ترتيب المدارك جـ١/كج.

٦ — تعاهدن وتعاقدن: ألزمن أنفسهن عهداً، وتعاقدن على الصدق من ضمائرهن عقداً.

٧ — الغث: الهزيل الذي يستغث من هزاله أي يستترك ويستكره، مأخوذ من قولهم: غث الجرح غثاً وغثيثاً إذا سال منه القيح، وكثر استعماله في مقابلة السمين، [illegible].

فينتقل: أي أنه لهزاله لا يرغب أحد فيه [illegible].

٨ — لا أبث: لا أظهر حديثه.

اني أخاف أن لا أذره: أي أخاف أن لا أترك من خبره شيئاً، فالضمير للخبر، أي إنه لطوله وكثرته إن بدأته لم أقدر على تكميله، فاكتفت بالاشارة الى معايبه خشية ان يطول الخطب بإيراد جميعها.

أذره: أتركه. عجره وبجره: العجر جمع العجرة: تعقد العصب والعروق في الجسد حتى تصير ناتئة، والبجر مثلها إلا أنها مختصة بالتي تكون في البطن.

٩ — العشنق: الطويل، إن نطقت بشيء من عيوبه طلقني، وإن سكت عنها علقني، أي: إن ذكرت عيوبه طلقني، وإن سكت عنها فأنا عنده معلقة لا ذات زوج ولا أيم، فكأنها قالت: أنا عنده لا ذات بعل فأنتفع به، ولا مطلقة فأتفرغ لغيره، فهي كالمعلقة بين العلو والسفل لا تستقر بأحدهما.

١٠ — وصفت زوجها بحسن العشرة، واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذى عنده، ولا مكروه، وانا آمنة منه، فلا أخاف من شره، ولا ملل عنده فيسأم من عشرتي، أو ليس بسيء الخلق، فأسأم من عشرته، فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل.

١١ — فهد: مشتق من الفهد، وصفته بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له، لأن الفهد يوصف بالحياء وقلة الشر وكثرة النوم، وقال عياض: حمله الأكثر على الاشتقاق من خلق الفهد إما من جهة قوة الوثوب، وإما من كثرة نومه، ولهذا ضربوا المثل به فقالوا: أنوم من فهد، قال: ويحتمل أن يكون من جهة كثرة كسبه، لأنهم قالوا في المثل أيضاً: أكسب من فهد. أسد: مشتق من الاسد: أي يصير بين الناس مثل الاسد في الاقدام. ولا يسأل عما عهد: أي أنه شديد الكرم، كثير التغاضي، لا يتفقد ما ذهب من ماله، واذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكف ليعلم البث(١٢).

قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء، طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلاً لك(١٣).

قالت الثامنة: زوجي المس مس ارنب، والريح ريح زرنب(١٤).

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد(١٥).

قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك، ومالكٌ خير من ذلك، له إبلٌ كثيرات المبارك، قليلات المسارح، واذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك(١٦).

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أناس(١٧) من حُلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت الى نفسي، وجدني في أهل غنيمةٍ بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط(١٩)، ودائس ومنق(٢٠)، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح(٢١)، وأشرب فأتقنح(٢٢).

أم أبي زرع، فما أم أبي زرع، عكومها رداح(٢٣)، و بيتها فساح(٢٤)، ابن أبي زرع، فما ابن ابي زرع؟ مضجعه كمسل شطبةٍ(٢٥)، و يشبعه ذراع الجفرة(٢٦).

---

١٢ ــ المراد باللف: الاكثار منه واستقصاؤه حتى لا يترك منه شيئاً. الاشتفاف في الشرب: استقصاؤه، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف وهي البقية تبقى في الاناء، فاذا شربها الذي شرب الاناء قيل اشتفها. التف: رقد ناحية وتلفف بكسائه وحده وانقبض عن اهله إعراضاً فهي كئيبة حزينة لذلك، ولذلك قالت: ولا يولج الكف ليعلم البث: أي لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن فيزيله.

١٣ ــ الغياياء الطباقاء: الاحمق الذي ينطبق عليه امره. كل داء له داء: أي كل شيء تفرق في الناس من المعايب موجود فيه. شجك: جرحك في رأسك. فلك: جرح جسدك، قال عياض: وصفته بالحمق والتناهي في سوء العشرة وجمع النقائص بأن يعجز عن قضاء وطرها مع الأذى، فاذا حدثته سبها، واذا مازحته شجها، واذا اغضبته كسر عضواً من اعضائها أو شق جلدها أو أغار على مالها أو جمع كل ذلك من الضرب والجرح وكسر العضو وموجع الكلام وأخذ المال.

١٤ ــ الزرنب: نبت طيب الرائحة، والألف واللام في المس والريح نائبة عن الضمير أي مسه وريحه.

١٥ ــ رفيع العماد: أصله عماد البيت، وهي العيدان التي تعمد بها البيوت، وصفته بالشرف في نسبه، والسؤدد في قومه. النجاد: حمالة السيف، تريد انه طويل القامة يحتاج الى طول نجاده. عظيم الرماد: تعني انه لا يطفئ ناره ليلاً لتهتدي الضيفان اليها فيصير رماد النار كثيراً لذلك. قريب البيت من الناد: وتقصد بها انه يسكن قريباً من مجلس القوم. والندي: مجلس القوم.

١٦ ــ المبارك: جمع مبرك وهو موضع نزول الابل، والمسارح: جمع مسرح وهو الموضع الذي تطلق لترعى فيه. المزهر: آلة من آلات اللهو.

١٧ ــ أناس: أي اثقل حتى تدلى واضطرب. والنوس: حركة كل شيء متدل.

١٨ ــ بجحني فبجحت الي نفسي: عظمني فعظمت الي نفسي.

١٩ ــ صهيل: خيل، واطيط: ابل.

٢٠ ــ الدائس: الذي يدوس الطعام، منق: يقال أنق الرجل اذا كان له دجاج.

٢١ ــ أرقد فأتصبح: [illegible] فلا أوقظ. إشارة أن لها من يكفيها مؤونة بيتها، ومهنة أهلها.

٢٢ ــ أتقنح: أروى حتى لا أحب الشرب.

٢٣ ــ عكومها: العكوم: الاعدال والاحمال التي تجمع فيها الامتعة. رداح: عظام كثيرة الحشو، ويقال للمرأة اذا كانت عظيمة الكفل ثقيلة الورك: رداح.

٢٤ ــ فساح: واسع.

٢٥ ــ مسل شطبة، اراد بمسل الشطبة: سيفاً سل من غمده، فمضجعه الذي ينام فيه في الصغر كقدر مسل شطبة واحدة.

٢٦ ــ الجفرة: الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن اربعة أشهر وفصل عن أمه واخذ في الرعي.

بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع، طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها(٢٧)، وغيظ جارتها.

جارية ابي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثاً تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتناً تعشيشاً(٢٨).

قالت: خرج أبو زرع، والأوطاب تمخض(٢٩)، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سريا، ركب شريا، وأخذ خطيًّا(٣٠)، وأراح عليَّ نعماً ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجاً، وقال: كلي أم زرع، وميري أهلك(٣١). قالت: فلو جمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ اصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت لك كأبي زرع لأم زرع(٣٢).

منهج القاضي عياض - رحمه الله - في التأليف:

«ورأينا ان نبتدىء بالحديث وسياق متنه، مع اختلاف الفاظ نقلته، وزيادة بعضهم على بعض في سرده، ثم نذكر بعد ذلك علّة اسناده، وشرح غريبه، وعويص إعرابه، ومعاني فصوله، وما يتعلق به من فقه، وتنقدح من فائدة، ويتجه فيه من وجه، بحول الله تعالى(٣٣).

ثم يبين أن طريقه في منهجه يعتمد فيها على المنقول والمعقول، فيقول: «وطرقنا في هذا الحديث كثيرة متشعبة، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخنا، وبعضهم يزيد على بعض، وفي متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات، وتقديم وتأخير، فجئنا بأكملها رواية، واحسنها سياقاً، بعد تقديم أشهر اسانيدنا فيها، ايثاراً للاختصار والائتلاف، واستظهاراً بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الاسلاف، ونبهنا على موضع الخلاف فيها، مما يفيد فائدة، أو يزيده فقرة شاردة، وثم زيادات من غير الطرق التي ذكرناها، جلبنا بعضها، ونبهنا على ما أمكن منها، والله ولي التوفيق»(٣٤).

وقد التزم القاضي عياض - رحمه الله - منهجه الذي اختطه لنفسه، فبدأ أولاً بذكر الأسانيد، ثم اورد متن الحديث، وما فيه من زيادات في بعض الفاظه عند رواته، فيورد مثلاً:

جلس احدى عشرة امرأة. ص٣.

---

٢٧ ــ طوع ابيها، وطوع امها: أي انها بارة بهما.
ملء كسائها: كناية عن كمال شخصها ونعمة جسمها.

٢٨ ــ تبث: تظهر. تنقث: أي تسرع فيه بالخيانة وتذهبه بالسرقة.
ولا تملأ بيتنا تعشيشا: أي أنها مصلحة للبيت، مهتمة بتنظيفه، والقاء كناسته وابعادها منه، [illegible] لا تختفي [illegible] وتركها في جوانبه كانها الاعشاش.

٢٩ ــ الاوطاب: جمع وطب وهو وعاء اللبن.

٣٠ ــ سرياً: سخياً، شريا: فرساً خياراً فائقاً. خطيا. رمحاً.

٣١ ــ ميري أهلك: صليهم وأوسعي عليهم بالطعام.

٣٢ ــ فتح الباري ١١/١٦٣-١٨٧، صحيح مسلم ٧/١٣٩-١٤٠، بغية الرائد ٢-١٧، والنص للبخاري.

٣٣ ــ بغية الرائد/ ١ ، ٢ .

٣٤ ــ بغية الرائد/ ٣ .

اجتمعت احدى عشرة امرأة. ص٤.

و يورد مناسبة الحديث بعد ذكر السند، قالت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

«فخرت بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اسكتي يا عائشة، فاني كنت لك كأبي زرع لأم زرع، ثم أنشأ يحدث الحديث»(٣٥).

فيورد في ص ٦ «جلس احدى عشرة امرأة في الجاهلية» وفي رواية «اجتمعن»، وفي اخرى: «جلسن»، و«نسوة» مكان «امرأة»، ووقع في بعض طرق النسائي: «جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن». وقال بعضهم: «ان يتصادقن ولا يكتمن من أخبار ازواجهن شيئاً».

ثم يورد الحديث مع اختلاف الفاظ نقلته، فيقول مثلاً:

قالت الأولى: «زوجي لحم جمل غث» و يروى: «قحر، على رأس جبل وعر، و يروى: «وعث»، «لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى»، و يروى: «فيتنقل»، ولا لي عنده معول، و يروى: ولا له عندي معول(٣٦).

ثم ينتقل الى تفسير السند، ليبين أن بعض رواته ذكروا أن الحديث بكامله من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، و يورد الرأي الآخر ليبين أنّ الحديث من كلام السيدة عائشة رضي الله عنها، إلاّ «كنت لك كابي زرع لام زرع» فهو من كلامه صلى الله عليه وسلم، وقد اختار القاضي ـ رحمه الله ـ رأي الفريق الثاني.

ثم ينتقل الى التعريف بالنسوة، وانهن كنّ في الجاهلية من أهل اليمن، أو من قريش بمكة.

ثم ينتقل الى العربية ـ و يعنى بها النحو والصرف ـ فيورد روايات ـ اجتمعن، «جلس احدى عشرة امرأة»، وفي بعضها «نسوة»، «جلس احدى عشرة نسوة»، «اجتمعت».

فتقدير الكلام في هذا الفصل في محلين:

المحل الأول: قوله: «اجتمعن ـ أو جلسن، أو اجتمعت ـ احدى عشرة» فاظهر في هذه الروايات علامة التأنيث ونون الجماعة مع تقديم الفعل، و بابه في العربية والاحسن في الكلام حذفه، وترك علامة التثنية والجمع، وافراد الفعل»(٣٧)، و يورد رأي سيبو يه، والفارسي، وقول بعض العرب، ثم يقول: «وهو في القرآن العزيز بالوجهين كقوله تعالى: «فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى» البقرة/ ٢٧٥، و«قد جاءتكم موعظة» يونس/ ٥٧، وكذلك هود/٦٧، هود/٩٤، الحشر/٩، يوسف/ ٣٠، آل عمران/ ١٠٥، البقرة /٢٠٩، ابراهيم/ ١٠، المائدة/ ٣٢، يوسف/١١٠. ثم قال: «ومن العرب من يقول في لغة «اكلوني البراغيث» فيستشهد بشعر الفرزدق، والآية ٣ من سورة الأنبياء، و بالحديث الشريف: «يتعاقبون فيكم... و يورد رأي الاخفش الاوسط ابي الحسن سعيد بن مسعده.

المحل الثاني: قوله: «احدى عشرة نسوة» يبين أولاً احكام العدد، ثم يقول: «وقد جاء هاهنا «النسوة» وهو جنس بعد احدى عشرة، وهو خارج عن وجه الكلام، ولا يصح نصبه على التفسير... فوجه النصب عندي: على اضمار «أعنى» أو يكون مرفوعاً بدلاً من «إحدى عشرة» وهو الأظهر فيه، وعلى هذا

٣٥ ـ بغية الرائد/ ٥.

٣٦ ـ بغية الرائد/ ٦ ـ ٧.

٣٧ ـ بغية الرائد/ ٢٦.

اعربوا قوله تعالى «وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا» الاعراف/ ١٦٠، فـ «اسباطاً» بدل من «اثنتي عشرة» وليس بتفسير، قاله الفارسي وغيره. وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندي وأحسن، و بالله التوفيق»(٣٨).

ثم ينتقل الى الفقه، وفيه:

١ ـ حسن عشرة الرجل مع أهله، وتأنيسهن، واستحباب محادثتهن بمالا إثم فيه.

٢ ـ منع الفخر بحطام الدنيا وكراهته.

٣ ـ جواز اخبار الرجل زوجه واهله بصورة حاله معهم، وحسن صحبته إياهم، واحسانه إليهم، وتذكيرهم بذلك تطييباً لأنفسهم، واستجلاباً لمودتهم.

٤ ـ إكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها، بما يراه من قول، أو فعل، وتخصيصها بذلك، وهذا اذا لم يكن قصده الاثرة والميل لها بذلك، بل لسبب اقتضاه، ومعنى أوجبه، من تأنيس وحشة بدت منها، أو مكافأة جميل صدر عنها، وقد أجاز له بعض أهل العلم تفضيل احداهما على الاخرى، في الملبس، اذا وفى الاخرى حقها، وان يتحف احداهما و يلطفها اذا كانت شابة، أو هي أبرّ به.

٥ ـ جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته، ومجالستها في يوم الاخرى.

٦ ـ جواز الحديث عن الأمم الخالية، والأجيال البائدة، والقرون الماضية، وضرب الأمثال بهم، لأن في سيرهم اعتباراً للمعتبر، واستبصاراً للمستبصر، واستخراج الفائدة للباحث المستكثر، فإن هذا الحديث ـ ولا سيا اذا حدث به النساء ـ منفعة في الحض على الوفاء للبعولة، والندب لقصر الطرف، والقلب عليهم، والشكر لجميل فعلهم، وحسن المعاشرة معهم. كحال أم زرع، وما ظهر من اعجابها بأبي زرع، وثنائها عليه، وعلى جميع أهله، وشكرها احسانه لها، واستصغارها كل شيء بعده... مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتي ذممن أزواجهن، والاعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم وشراسة اخلاقهم، ليقتدي بذلك من النساء من بلغها خبرهن في الصبر على ما يكون من الأزواج، وتتأسى بمن تقدمها في ذلك.

٧ ـ التحدث بملح الأخبار، وطرف الحكايات، تسلية للنفس، وجلاء للقلب، هذا ما لم يكن دائما متصلاً، وانما يكون في النادر والأحيان، كما قال: ساعة بعد ساعة، واما ان يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك، و يتخذه ديدنا، و يطرب به الناس، و يضحكهم ـ دأبه ـ فهذا مذموم. وفي اثناء الكلام يورد بحثاً نفيساً في العدالة والمروءة والشاهد من ص ٣٩ ـ ٤١، ويختمه بقوله: «وهذه نكتة بالغة في هذا الفصل، تغلغل القول بها، لعلك لا تجدها بهذا البيان في غير هذه الأوراق، وقد طاش سهم القول ـ بما اعترض ـ عن الغرض، فلنكتف بما اقتضيناه من معقول ومنقول».

٨ ـ بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن حوله، و بيانه عليهم، من تلقاء نفسه.

٩ ـ سؤال السامع شرح ما أجمل له.

ثم يورد الغريب ـ المعنى المعجمي للكلمة ـ و يورد الشواهد على هذا المعنى أو ذاك من

٣٨ ـ بغية الرائد/ ٣١.

القرآن الكريم والشعر، ناقلاً عن العلماء ثم شارحاً ومفسراً وموضحاً ص ٤٣ ـ ٤٤.

ثم ينتقل الى قول الاولى، فيأتي على معناه، ثم عربيته، وفيه بيان أوجه الاعراب، مع إيراد ما في القرآن الكريم من شاهد ص ٤٨ ـ ٥١، ونرى ان القاضي عياضاً ـ رحمه الله ـ يحفل بالمعنى عند ترجيحه رأياً على آخر، فيقول: «فاعلم ـ وفقك الله ـ أني اذا بينت لك قولي ورفعت مناره، رأيت ترجيحه وإيثاره، وذاك أني لم أرَ ذلك من جهة مذهب النحاة، وتقويم الألفاظ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الاغراض، وترتيب الكلام ونظامه، ورد اعجازه لصدوره وتفصيل اقسامه»(٣٩). ثم فقهه، وفيه: «أن ذكر السوء والعيب اذا ذكره احد فيمن لا يُعرف بعينه واسمه، وانه ليس بغيبة، وان الغيبة ان تقصد معيناً بما يكره»(٤٠). و يوضح القاضي ـ رحمه الله ـ ان الفائدة من النهي عن الغيبة الحماية عن اذى المؤمن.

ثم ينبه على انه ينوي تأخير ذكر أبواب الفصاحة في قول كل واحدة، وانه سيجمعها كلها في نهاية الكتاب، لما فيه من التداخل(٤١).

ثم ينتقل الى غريب قول الثانية، وظريف ما فيه عجره وبجره، قال أبو سعيد النيسابوري إنما عنت أن زوجها كثير العيوب، متعقد النفس عن المكارم، ثم معناه.

ثم ينتقل الى قول الثالثة، فيبين معناه، ثم ينتقل الى قول الرابعة، فيأتي على عربيته، ومعناه، ثم قول الخامسة، فيبين عربيته، ومعناه، ثم قول السادسة، فيبين معناه، ثم قول السابعة، فينبه أولاً على قولها، «غياياء» وفي الرواية الاخرى، «أو عياياء» أنه شك من الراوي، قال ابو عبيد: هكذا يروى بالشك ص ٨٨، ثم يبين غريبه، و ينبه على أن قول أبي عبيد، «(أن الغيايا» بالغين المعجمة ليس بشيء، ولم يفسره، وتابعه على ذلك سائر الشارحين، فقد ظهر لي فيه معنى صحيح إن شاء الله في اللغة، بيّن في التأويل، وهو أن يكون مأخوذاً من الغياية، وهي كل ما أظلّ الانسان فوق رأسه من سحاب وغيره ونحو ذلك، ومنه سميت الراية غاية، فكانه غطى عليه من جهله، وسترت عنه مصالحه... وقد يمكن ان يكون أيضاً مأخوذاً من الغيّ، وهو الانهماك في الشر، أو من الغيّ وهي الخيبة، قال الله تعالى: «فسوف يلقون غيا» مريم/ ٥٩. قيل خيبة، وقيل غير هذا، كأنه خائب من كل فضيلة»(٤٢). ثم يبين عربيته ومعناه، ثم قول الثامنة، فيبين معناه، ثم قول التاسعة، فيبين معناه، ثم قول العاشرة، فيبين عربيته ومعناه.

ونرى من غريب قول الثانية، ومعنى قول العاشرة، معرفة القاضي ـ رحمه الله ـ بعلم النفس، فالارتباط الشرطي واضح في قوله، المراد أنها اذا سمعت المزاهر ايقنت بالهلاك، لما اعتاده من نحرها اذا سمع الغناء، وانتشى، وهبت فيه الأريحية، وهذا لا تعتاده الابل وتفهمه إلاّ مع التكرار و باستمرار»(٤٣).

ثم يقسم قول الحادية عشرة الى أقسام لطوله، و يتكلم على كل قسم، فيبين عربيته، وغريبه، ومعناه.

---

٣٩ ــ بغية الرائد/ ٥١.
٤٠ ــ بغية الرائد/ ٥٤.
٤١ ــ بغية الرائد/ ٥٧.
٤٢ ــ بغية الرائد/ ٨٩ ـ ٩٠.
٤٣ ــ بغية الرائد/ ١٠٩.

ثم ينتقل الى فصل من الفقه ذكر فيه مسائل، منها قول المرء لصاحبه بأبي أنت وأمي، وفداك أبي وأمي، ومنها ترفية المتزوج بلفظ الرفاء، ومنها جواز المزح في الاحايين، وقد فصل القول في هذه المسائل خاصة، وذكر طرفاً من أخبار ممازحة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، و بين حد المزاح المباح المحمود من غيره»(٤٤).

ثم ينتقل الى ذكر ما ورد في الحديث من ضروب الفصاحة، وفنون البلاغة، و يفصل القول في فنون البديع وابوابه ص ١٨٦ - ٢١٥.

و ينهي القاضي - رحمه الله - شرحه بقوله «هنا انتهى بنا القول فيا حررناه من الكلام في هذا الحديث، وقد احتوى على جمل من فنون العلم حسان، وفقر من ضروب الادب غراب، وخرجنا فيه نحو عشرين مسألة من الفقه، ومثلها من العربية، مع كثرة ما ذكرنا فيه من كلام الشارحين واصحاب المعاني، وترجيح الصواب، وتوليد كثير مما لم يتقدم فيه كلام بلغه علمي، وانتهى اليه ذكري، واقتصرت في اكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا العلم، واستغنيت بذلك عن الشاهد إلاّ في النادر، حرصاً على الاختصار، واكتفاء بقول اولئك القدوة، إذ هم المقلدون في ذلك، وذكرت الشواهد في المعاني تمهيداً لها، واظهاراً لوجوهها، وحجة على صحة تأو يلاتها، لاشتراك الخواطر فيها، وتوارد العقول عليها، وحررت في هذا الفصل الاخير من علم البلاغة، واستثرت ما في كلامهن من سر الفصاحة، وغرائب النقد، و بديع الكلام، ما فيه غنية لمتأمليه، ممن شدا في باب الادب شيئاً، وتطلع لأن يعلم صناعة تأليف الكلام، و يفهم منازع أرباب هذا الشأن، وعلى الله - جل اسمه - الاعتماد على العفو عن الزلل، والرغبة في غفران المباهاة في القول والعمل، فهو - جل اسمه - ولي العصمة، ومولى الرحمة، وموّتى شكر النعمة، لا إله غيره، وصلواته على مصطفاه من خلقه، محمد نبيه، وعلى آله، وسلامه كثيراً»(٤٥).

و ينتهي المطبوع بتفسير حديث أم زرع للسيوطي، وهو شرح مختصر.

ثناء الاعلام على القاضي عياض - رحمه الله -

قال ابن خاتمة: «للقاضي عياض — رحمه الله - تآليف مفيدة، كتبها الناس عنه، وانتفعوا بها، وكثر استعمال كل طائفة لها»(٤٦).

«وأخبرني أن أبا الحسين بن سراج «من شيوخ عياض» قال له: - وقد اراد الرحلة الى بعض الاشياخ - لهو احوج اليك منك اليه.

وقال ان الفقيه ابا محمد بن أبي جعفر قال له: ما وصل الينا من المغرب مثل عياض(٤٧).

ملاحظات على الكتاب:

١ — جاء الكتاب خالياً من الفهارس الفنية.

٢ — لم يُحل المحققون القارىء الى مؤلفات العلماء الذين أخذ عنهم القاضي - رحمه الله - ولم ينسبوا الشواهد لأصحابها.

---

٤٤ — بغية الرائد/ هـ .

٤٥ — بغية الرائد/ ٢١٤ - ٢١٥ .

٤٦ — ازهار الرياض ٥/ ٧ .

٤٧ — التعريف/ ١٠٦، ازهار الرياض ٥/ ٨٠-٨١ .

مصـادر البحث:

١ ــ أزهار الرياض في أخبار عياض/ تأليف شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني. جـ ١، ٢، ٣ تحقيق مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، اعاد طبعها صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة. مطبعة فضالة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، جـ ٤ تحقيق سعيد احمد أعراب، محمد بن تاويت. مطبعة فضالة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، جـ ٥ تحقيق د. عبد السلام الهراس، سعيد احمد أعراب، مطبعة فضالة/ المغرب ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢ ــ إعراب الحديث النبوي/ لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري/ تحقيق عبد الآله نبهان/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق/ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

٣ ــ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك/ تأليف القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، الجزء الأول. عارضه باصوله وعلق حواشيه وقدم له/ محمد بن تاويت المغربي - المملكة المغربية - الرباط - مطبعة الشمال الافريقي ١٣٨٣هـ - ١٩٦٥م.

٤ ــ التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد/ تقديم وتحقيق: د. محمد بن شريفة/ منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية/ مطبعة فضالة/ المغرب.

٥ ــ الجامع الصحيح للامام مسلم. جـ٧/ كتاب التحرير/ القاهرة/ ١٣٨٤هـ.

٦ ــ فتح الباري بشرح البخاري/ تأليف ابن حجر/ جـ١١/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م.

٧ ــ اللغة العربية معناها ومبناها/ د. تمام حسان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧٣م.

مراجع البحث

١ ــ سبائك الذهب، السويدي.

٢ ــ الكامل في التاريخ، ابن الأثير.

٣ ــ قادة فتح العراق والجزيرة، محمود شيت خطاب.

٤ ــ البداية والنهاية، ابن كثير.

٥ ــ دلائل النبوة، لأبي نعيم.

٦ ــ كتاب فتح الباري.

٧ ــ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر.

٨ ــ الاستيعاب ــ بحاشية الإصابة، ابن عبد البر.

٩ ــ الأعلام، الزركلي.

١٠ ــ السيرة النبوية/ لابن هشام.

١١ ــ مشاهير الفاتحين، سيف الدين الكاتب.

١٢ ــ الأوائل في حضارة الاسلام، سيف الدين الكاتب.

١٣ ــ أعلام الصحابة، سيف الدين الكاتب.

١٤ ــ المثنى بن حارثة، العقيد محمد فرج.

١٥ ــ الأغاني/ لأبي الفرج الأصفهاني.

١٦ ــ معجم البلدان/ ياقوت الحموي.